مقدمة المؤلف(*)

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملء السموات والأرض، وملء ما شاء ربنا من شيء بعد، وصلوات الله وسلامه على صفوة خلقه، وخاتم رسله، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فهذه بحوث ومقالات، كتبت في أوقات متباعدة، ونشرت في مجلات مختلفة(١).

ومما لازلت أذكره: أن بعض هذه المقالات نشرتها عقب خروجي من معتقل السجن الحربي في صيف سنة ١٩٥٦م. وذلك في مجلة (منبر الإسلام) التي كانت تصدرها مراقبة الشؤون الدينية بوزارة الأوقاف المصرية.

كنت أوقع على هذه المقالات باسم (يوسف عبد الله) خشية أن يثير لقب (القرضاوي) اعتراض (المباحث) التي وقفت لي بالمرصاد في كل

(*) كتبت هذه المقدمة في طائرة الخليج المتجهة من الدوحة إلى الكويت في مساء الأربعاء جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ الموافق ١٩٨٨/٢/٣م.

(١) منها: ما كتب ونشر منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

ومنها: ما نشر في هذا العام (١٩٨٨م).

بعضها نشر في القاهرة: في مجلات (منبر الإسلام)، و (نور الإسلام)، و (الأزهر).

وبعضها نشر في بيروت: في مجلات (المجتمع)، و (الشهاب).

وبعضها نشر في قطر: في مجلات (الدوحة) و (الأمة) و (الحق).

وبعضها نشر في الهند: في مجلة (البعث الإسلامي) التي تصدر عن ندوة العلماء.

obeikandl.com

طريق، في ذلك الحين، وحرمت عليّ أي عمل حكومي في أي مجال يتصل بالجماهير، كما في مجال التدريس، ومجال الدعوة والإرشاد وهما المجالان المتاحان لي، واللائقان بتخصصي وتكويني.

وقد حدث أن تقدمت للتدريس في معاهد الأزهر، وكان اسمي أول اسم في قائمة المقبولين حيث كان مجموعي أكبر مجموع في المتقدمين من كليات الأزهر الثلاث: أصول الدين، والشريعة، واللغة العربية، ولكن حين عرضت الأسماء على المباحث حذف اسمي من بينها.

لهذا حرصت على ألا أوقع باسمي الصريح المعروف، حتى لا أنبه الأجهزة المتربصة.

ومن الطرائف التي تذكر هنا: أن كان في الشؤون الدينية بالأوقاف موظف إداري اسمه: يوسف عبد الله، فلما نشر مقالي الأول بعنوان (أمنية عُمرية) بتوقيع (يوسف عبدا لله) ظن هذا الموظف أن أحد المشايخ كالشيخ الغزالي أو الشيخ سيد سابق، كتب المقال ووقعه باسمه، ليستفيد منه، ويصرف المكافأة المخصصة له، وقد سارع بالفعل لطلب المكافأة وأوشك أن يتم له ذلك، لو لا أن زميلاً له كان يعرف السر، فأخبره: من هو كاتب المقال.

وهكذا كادت تضيع الجنيهات الخمسة، التي كانت في ذلك الوقت ثروة كبيرة بالنسبة لي!

لا أدري لماذا طافت بي هذه الخواطر، وأنا أكتب هذه السطور؟

ولكن لعل في سردها عظة وعبرة، وتذكرة لنفسي وللناس، وقد أمرنا الله أن نذكر بأساء الماضي، لنقارنه بنعماء الحاضر، فنذكر آلاء الله تعالى وفضله، ونشكره على ما أنعم وأولى.

ومن هنا ذكر الله سبحانه رسوله ﷺ والمؤمنين معه في المدينة بما كانوا عليه في مكة فقال: ﴿**واذكُروا إذ أنتُم قليلٌ مُستضعَفُون في الأرضِ تَخَافون أَنْ يتخطَّفكمُ الناسُ فآواكُم وأيَّدكُم بنصرِه ورزَقكم مِن الطيِّباتِ لَعلَّكم تَشْكُرونَ**﴾[سورة الأنفال: ٢٦].

والمهم في هذه التقدمة: أن هذه الكلمات ـ وإن اختلفت أزمنتها وأمكنتها وظروف كتابتها ـ تنبع كلها من عين واحدة، هي عين الإسلام الشامل المتوازن، الإسلام القوي الذي لايضعف، الآمل الذي لاييأس، المقاوم الذي لا يلقي السلاح. فجرت هذه العين هموم المسلمين التي لا تزيدها الأيام إلا الامتداد طولاً وعرضاً وعمقاً!

كما أنها جميعاً ـ قديمها وحديثها ـ تتجه إلى مصب واحد، وتسعى إلى هدف واحد:

هو الإسهام في إيجاد صحوة إسلامية حقيقية أصيلة، تتميز بالرشد والنضج والاستنارة. صحوة عقول ذكية، وقلوب نقية، وعزائم فتية. صحوة تعرف غايتها، وتعرف طريقها. وتعرف من لها، ومن عليها. من هو صديقها، ومن هو عدوها.

صحوة تعمل على تجديد الدين، وإنهاض الدنيا به. صحوة

تصحح المفاهيم المغلوطة، وتقوِّم المسالك العوج، وتوقظ العقول النائمة، وتحرك الحياة الراكدة، وتنفخ الروح في الجثة الهامدة، فتعيد إليها الحياة والحركة والنمو.

وها نحن بحمد الله نرى من معالم هذه الصحوة اليوم، ما لم يكن واضحاً للكثيرين من قبل.

ونحمد الله أن مداد العلماء ودماء الشهداء، وكلمات الحداة، وجهود الدعاة، وجهاد المصلحين، لم تذهب سُدى، ولم تكن ـ كما ظن الظانون ـ صيحة في واد، أو نفخة في رماد، بل آتت أكلها في حينها بإذن ربها.

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿**أَلَمْ تَرَ كيفَ ضرَبَ اللهُ مَثَلاً كلمةً طيِّبةً كشجرةٍ طيِّبةٍ أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السَّماءِ ۞ تُؤتي أُكلَها كُلَّ حينٍ بإذنِ ربِّها ويضرِبُ اللهُ الأمثالَ للنَّاسِ لعلَّهم يتذكَّرون**﴾[إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

أسأل الله الكريم ذا الفضل العظيم الذي جعل يوم هذه الصحوة خيراً من أمسها، أن يجعل غدها خيراً من يومها .. اللهم آمين.

﴿**ربَّنا تقبَّلْ منَّا إنكَ أنتَ السَّميعُ العَليمُ**﴾[البقرة: ١٢٧].

د. يوسف القرضاوي